

لا توجد أسوأ من صورة العربي في أمريكا غير صورة الأمريكي عند العرب



سمير فريد

ربما يكون من المنطقي بالنسبة للأجيال المعاصرة من عامة المصريين والعرب أن يتصوروا أن سياسات أمريكا وغيرها من الدول الديمقراطية حيث يتم تداول السلطة بين الأحزاب عبر الانتخابات يمكن أن تتغير على نحو شامل عندما يصبح الرئيس هو باراك أوباما الديمقراطي بدلاً من جورج بوش الابن الجمهوري، فهذا ما اعتاد عليه الناس في الدول غير الديمقراطية، ومنها الدول العربية منذ أكثر من نصف قرن على الأقل.

اعتدنا أن تأتي القرارات في الأمور الكبرى مثل الحرب والسلام، ومثل إدارة شؤون الاقتصاد والتعليم والصحة والإسكان، بل تغيير اسم البلد والعلم والنشيد، كقرارات فردية من زعماء ملهمين يحكمون بتفويض إلهي مطلق مدى حياتهم. ولكن أمريكا مثل أي دولة ديمقراطية دولة مؤسسات، أي أن هناك سياسات استراتيجية لا تتغير، وإنما تتغير الأساليب والمفاهيم بين الحزبين الكبيرين الجمهوري والديمقراطي.

والفرق كبير بين أساليب ومفاهيم جورج بوش الابن الجمهوري وباراك أوباما الديمقراطي، كما أن انتخاب أوباما كأول رئيس أسود في تاريخ أمريكا وتاريخ العالم الغربي كله، وكأول رئيس له جذور أفريقية وآسيوية، وإسلامية ومسيحية في آن واحد، يعتبر من الأحداث الفارقة في التاريخ الإنساني، ويحقق لأول مرة «الحلم الأمريكي»، وهو حلم البلد، البوتقة التي تنصهر فيها كل الأعراق والثقافات والديانات.

وقد تناول أوباما في خطابه التاريخي في جامعة القاهرة يوم الخميس الماضي إلى العالم الإسلامي قضية صورة العربي والمسلم السلبية في أمريكا، وأعلن أنه أن الأوان لتغييرها، ولكنه بحذق وبراعة تناول أيضاً صورة الأمريكي السلبية عند العرب والمسلمين، وأعلن أنه لا بد من تغييرها أيضاً. والحقيقة أنه لا يوجد أسوأ من صورة العربي والمسلم في أمريكا غير صورة الأمريكي عند العرب والمسلمين.

وعلى حين توجد مئات الدراسات عن الصورة السلبية للعرب والمسلمين في أمريكا، بل هناك مؤسسات ومراكز بحثية مختصة في هذا الموضوع، لا أعرف في حدود معلوماتي ولا حتى دراسة واحدة عن صورة الأمريكي عند

العرب والمسلمين، وهذا يعنى عدم المبالاة بصورة الأمريكي عندهم، وهى لامبالاة تعكس عنصرية يرفضها أوباما ضمن رفضه لكل أشكال العنصرية.

صورة العربي والمسلم فى أمريكا، مثل صورة الأمريكي عند العرب والمسلمين، لم تأتيا من فراغ، وإنما من ممارسات على أرض الواقع، وتاريخ حافل بالشكوك المتبادلة، وليس من السهل بالطبع أن تتغير الصورة، ولكن من الضروري أن تتغير لتصبح صورة «حقيقية»، وليس صورة «نمطية» كاريكاتورية.

* نقلا عن صحيفة "المصري اليوم"